

المبحث السابع

مسألة رؤية الله تعالى

يوم القيامة

- موقف المعتزلة من الرؤية
- موقف الأشاعرة
- رد أهل السنة والجماعة على المعتزلة

المبحث السابع

مسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة

- موقف المعتزلة من الرؤية:

موقف المعتزلة من مسألة رؤية الله عز وجل: ينكر الجهمية والمعتزلة رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، فقد اتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة. قال الأشعري: وأجمعت المعتزلة على أن الله تعالى لا يُرى بالأبصار^(١).

وقد استبدل المعتزلة بعدة أدلة على قولهم بنفي رؤية الله تعالى بالأنصار يوم القيامة من هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. بمعنى قول الله تعالى لا تدركه الأبصار، أي لا تراه الأبصار، ومعنى ذلك أن الله تعالى نفى عن نفسه إدراك الأبصار له كما زعم المعتزلة والجهمية.

موقف الأشاعرة من الرؤية:

يثبت الأشاعرة رؤية المؤمنين لربهم عز وجل في الجنة يوم القيامة. يقول إمام الحرمين الجويني الأشعري: مذهب أهل الحق أن الباري سبحانه يجوز أن يُرى^(٢) ويعتمد الأشاعرة في رأيهم على جواز الرؤية على أساس معتقدتهم بأن كل موجود يمكن أن يُرى فإذا تقرر بضرورة العقل أن الإدراك لا يتعلق إلا بالوجود، وحقيقته لا تختلف، فإذا رُوي موجود لزم تجويز رؤية كل موجود، كما أنه إذا رُوي جوهر، لزم تجويز رؤية كل جوهر^(٣).

(١) الأشعري، مقالات، ج ١، ص ٢٨٩.

(٢) الجويني، كتاب الإرشاد، ص ١٦٤.

(٣) مرجع سابق، ص ١٦٥.

ويقول الإمام الأشعري في إثبات رؤية الله -تعالى- بالأبصار في الآخرة^(١): قال الله عز وجل: ﴿وَجْهَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (يعني: مشرقة) إلى ربها ناظرة (يعني رائية) ﴿وَلَيْسَ يَخْلُو النَّظَرَ مِنْ وَجْهِ نَحْنُ ذَاكِرُوهَا: إِمَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ نَظَرِ الْإِعْتِبَارِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ﴾ أَوْ يَكُونَ عَنِ نَظَرِ الْإِنْتِظَارِ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أَوْ يَكُونَ عَنِ نَظَرِ الرَّؤْيَةِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَنِ نَظَرِ التَّفَكُّرِ وَالْإِعْتِبَارِ لِأَنَّ الْآخِرَةَ لَيْسَتْ بِدَارِ إِعْتِبَارٍ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَنِ نَظَرِ الْإِنْتِظَارِ لِأَنَّ النَّظَرَ إِذَا ذَكَرَ مَعَ ذِكْرِ الْوَجْهِ فَمَعْنَاهُ نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي الْوَجْهِ كَمَا إِذَا فَكَّرَ أَهْلُ اللِّسَانِ نَظَرَ الْقَلْبَ فَقَالُوا انظُرْ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِقَلْبِكَ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهُ نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ وَلِذَلِكَ إِذَا ذَكَرَ النَّظَرَ مَعَ الْوَجْهِ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهُ نَظَرُ الْإِنْتِظَارِ الَّذِي بِالْقَلْبِ وَأَيْضًا فَإِنَّ نَظَرَ الْإِنْتِظَارِ لَا يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ لِأَنَّ الْإِنْتِظَارَ مَعَهُ تَنْغِيصٌ وَتَكْدِيرٌ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ مِنَ الْعَيْشِ السَّلِيمِ وَالتَّعْيِيمِ الْمُقِيمِ وَإِذَا كَانَ هَذَا كَمَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونُوا مُنْتَظَرِينَ لِأَنَّهُمْ كَلَّمَا خَطَرَ بِيَاهِمُ شَيْءٌ أُوتُوا بِهِ مَعَ خَطُورِهِ بِيَاهِمُ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرَادَ نَظَرَ التَّعَطُّفِ لِأَنَّ الْخَلْقَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَّعَطَفُوا عَلَى خَالِقِهِمْ وَإِذَا فَسَدَتِ الْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ صَحَّ الْقِسْمُ الرَّابِعُ مِنْ أَقْسَامِ النَّظَرِ وَهُوَ أَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ إِلَى رَبِّهَا نَازِرَةٌ أَمَّا رَائِيَةٌ تَرَى رَبِّهَا -عَزَّ وَجَلَّ- مِمَّا يَبْطُلُ قَوْلُ الْمُعْتَزَلَةِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: إِلَى رَبِّهَا نَازِرَةٌ، نَظَرَ الْإِنْتِظَارِ، أَنَّهُ قَالَ إِلَى رَبِّهَا نَازِرَةٌ وَنَظَرَ الْإِنْتِظَارَ بِهَا لَا يَكُونُ مُقَرَّرًا بِقَوْلِهِ إِلَى لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ عِنْدَ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولُوا فِي نَظَرِ الْإِنْتِظَارِ إِلَى أَلَّا تَرَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا قَالَ: مَا يَنْظُرُونَ

(١) الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، ص ١٣ وما بعدها باختصار.

إلا صيحة واحدة لم يقل إلا إذا كان معناه الانتظار، وقال عن بلقيس:
﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ فلما أرادت الانتظار لم تقل إلى: وقال
 امرؤ القيس:

فإنكما إن تنظراي ساعة من الدهر تنفعي لدى أم جنذب
 فلما أراد الانتظار لم يقل إلى فلما قال عز وجل إلى ربها ناظرة
 علمنا أنه لم يرد الانتظار وإنما أراد نظر الرؤية ولما قرن الله النظر بذكر
 الوجه أراد نظر العينين اللتين في الوجه كما قال: **﴿قد نرى قلبه
 وجهك في السماء فلتولينك﴾** ، فذكر الوجه وإنما أراد قلب عينيه
 نحو السماء ينتظر نزول الملك عليه بصرف الله له عن قبلة بيت المقدس
 إلى الكعبة (فإن قال قائل) لم لا تقولون أن قوله تعالى: إلى ربها ناظرة
 إنما أراد ثواب ربها ناظرة؟ قيل له ثواب الله عز وجل غيره تعالى والله
 تعالى قال إلى ربها ناظرة والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن
 ظاهره إلا لحجة وإلا فهو على ظاهره ألا ترى أن الله عز وجل لما قال
 صلوا لي وعبدوني لم يجوز أن يقول قائل أنه أراد غيره ويزيل الكلام
 عن ظاهره فلذلك لما قال إلى ربها ناظرة لم يجوز لنا أن نزيل القرآن
 عن ظاهره بغير حجة. ثم يقال للمعتزلة إن جاز لكم أن تزعموا أن قول
 الله عز وجل إلى ربها ناظرة إنما أراد به أنها إلى غيره ناظرة فلم ما جاز
 لغيركم أن يقول أن قول الله عز وجل لا تدركه الأبصار أراد بها
 لا تدرك غيره، ولم يرد أنها لا تدركه؟ وهذا ما لا يقدرُونَ على الفرق
 فيه.

(ودليل آخر) ومما يدل على أن الله تعالى يرى بالأبصار قول
 موسى: **﴿رب أرنني أنظر إليك﴾** ولا يجوز أن يكون موسى عليه
 السلام الذي قد ألبسه الله تعالى جلابيب النبيين وعظمه بما عظم به
 المرسلين فيسأل ربه ما يستحيل عليه وإذا لم يجوز ذلك على موسى فقد

علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلاً وأن الرؤية جائزة على ربنا عز وجل ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا كما زعمت المعتزلة ولم يعلم ذلك موسى عليه السلام وعلموا هم لكانوا على قولهم أعلم بالله من موسى عليه السلام، وهذا ما لا يدعيه مسلم.

(دليل آخر) مما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار قوله تعالى لموسى: ﴿فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسُوفَ تَرَانِي﴾ فلما كان الله عز وجل قادراً على أن يجعل الجبل مستقراً كان قادراً على الأمر الذي لو فعله لراه موسى فدل ذلك على أن الله تعالى قادر على أن يري عباده نفسه، وأنه جائز رؤيته (فإن قال) فلم ما قلت أن قول الله تعالى فإن استقر مكانه فسوف تراني تبعيد للرؤية؟ قيل له: لو أراد الله عز وجل تبعيد الرؤية لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه ولم يقترنه بما يجوز وقوعه فلما قرنه باستقرار الجبل وذلك أمر مقدور لله سبحانه دل ذلك على أنه جائز أن يرى الله عز وجل، ألا ترى أن الخنساء لما أرادت تبعيد صلحها لمن كان حرباً لأخيها قرنت الكلام بمستحيل فقالت:

ولا أصالحُ قومًا كنتُ حربهم حتى تعود بياضاً حلقة القاري

والله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها ونحن نرجع إلى ما نجد مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها فلما قرن الله الرؤية بأمر مقدور جائز علمنا أن رؤية الله بالأبصار جائزة غير مستحيلة.

(ودليل آخر) قال عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. قال أهل التأويل الزيادة النظر إلى الله عز وجل ولم ينعم الله عز وجل على أهل جناته بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له وقال عز وجل: ﴿وَلَدِينَا مَزِيدٌ﴾ قيل: النظر إلى الله عز وجل. وقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾. وإذا لقيه المؤمنون رأوه وقال الله: ﴿كَلَّا إِفْهَمُ عَنِ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحُجُوبٌ﴾. فحجبهم عن رؤيته ولا يحجب عنها المؤمنين.

(سؤال) فإن قال قائل: فما معنى قوله لا تدركه الأبصار؟ قيل له: يُحتمل أن يكون لا تدركه في الدنيا وتدركه في الآخرة؛ لأن رؤية الله تعالى أفضل اللذات يكون في أفضل الدارين، ويحتمل أن يكون الله عز وجل أراد بقوله لا تدركه الأبصار يعني لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين، وذلك أن كتاب الله يصدقُ بعضه بعضاً، فلما قال في آية: ﴿وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة﴾ ، وقال في آية أخرى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ علمنا أنه إنما أراد أبصار الكفار لا تدركه.

فإن قال قائل: قد استكبر الله سؤال السائلين له أن يرى بالأبصار.

فقال: ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة﴾ فيقال لهم: إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار لنبوة موسى وترك الإيمان به حتى يروا الله؛ لأنهم قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فلما سألوهُ الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتى يريهم الله نفسه استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتاباً من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلاً، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتاباً.

(دليل آخر) ومما يدل على رؤية الله عز وجل بالأبصار ما روتهُ الجماعات من الجهات المختلفة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تروون ربكم كما تروون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته»، والرؤية إذا أطلقت إطلاقاً ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا الرؤية بالعيان ورويت الرؤية عن رسول الله ﷺ من طرق مختلفة: عدة رواها أكثر من عدة خبر الرجم، ومن عدة من روى أن النبي ﷺ قال: «لا وصية

لسوارث». ومن عدة رواة المسح على الخفين، ومن عدة رواة قول رسول الله ﷺ لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها. وإذا كان الرجم وما ذكرناه سننا عند المعتزلة كانت الرؤية أولى أن تكون سنة لكثرة روايتها ونقلتها يرويها خلف عن سلف.

(دليل آخر) ومما يدل على رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار أن الله عز وجل يرى الأشياء، وإذا كان للأشياء رأيًا فهو يرى الأشياء من لا يرى نفسه وإذا كان لنفسه رأيًا فحائز أن يرى نفسه، وذلك أن من لا يعلم نفسه لا يعلم شيئًا، فلما كان الله عز وجل عالمًا بالأشياء كان عالمًا بنفسه فلذلك من لا يرى نفسه لا يرى الأشياء فلما كان -عز وجل- رأيًا للأشياء كان رأيًا لنفسه، وإذا كان رأيًا لها فحائز أن يرى نفسه كما أنه لما كان عالمًا بنفسه جاز أن يعلمناها وقد قال الله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ . فأخبر أنه سمع كلامهما ورآهما ومن زعم أن الله عز وجل لا يجوز أن يرى بالأبصار يلزمه أن لا يجوز أن يكون الله عز وجل رأيًا عالمًا ولا قادرًا؛ لأن العالم للقادر للرأي جاز أن يرى. فإن قال قائل: قول النبي ﷺ ترون ربكم يعني تعلمون ربكم اضطرارًا، قيل له أن النبي ﷺ قال لأصحابه هذا على البشارة، فقال فكيف بكم إذا رأيتم الله -عز وجل-؟. ولا يجوز أن يبشروهم بأمر يشركهم فيه الكفار على أن النبي ﷺ قال: ترون ربكم وليس يعني رؤية دون رؤية بل ذلك عام في رؤية العين ورؤية القلب.

وقد احتجت المعتزلة في أن الله -عز وجل- لا يرى بالأبصار بقوله عز وجل: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ . قالوا: فلما عطف الله عز وجل بقوله: ﴿وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ على قوله: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وكان قوله: ﴿وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ على العموم أنه يدركها في الدنيا والآخرة، وأنه يراها في الدنيا والآخرة. كان قوله لا تدركه

الأبصار دليلاً على أنها لا تراه الأبصار في الدنيا والآخرة، وكان في عموم قوله وهو يدرك الأبصار لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر. قيل لهم فيجب إذا كان عموم القولين واحداً وكانت الأبصار أبصار العيون وأبصار القلوب لأن الله - عز وجل -، قال: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ ، وقال: ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ أي فهي بالأبصار فأراد أبصار القلوب هي التي يقصدُ بها المؤمنون الكافرين، ويقول أهل اللغة: فلان بصير بصناعته، يريدون بصير العلم بها ويقولون قد أبصرته بقلبي كما يقولون أبصرته بعيني فإذا كان البصر بصر العيون وبصر القلوب ثم أوجبوا علينا أن يكون قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ، في العموم، كقوله: ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ لأن أخذ الكلامين معطوف على الآخر وجب عليهم بحجته أن الله عز وجل لا يدرك بأبصار العيون، ولا بأبصار القلوب؛ لأن قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ في العموم، كقوله: ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ ، وإذا لم يكن عندهم هكذا فقد وجب أن يكون قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ أخص من قوله: ﴿وهو يدرك الأبصار﴾، وانتقض احتجاجهم قيل لهم أنكم زعمتم أنه لو كان قوله لا تدركه الأبصار خاصاً في وقت دون وقت؛ لكان قوله: ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ خاصاً في وقت دون وقت وكان قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾، وقوله: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ ، وقوله: ﴿لا يظلم الناس شيئاً﴾ وفي وقت دون وقت فإن جعلتم قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ خاصاً رجع احتجاجكم عليكم، وقيل لكم: إذا كان قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ خاصاً ولم يجب خصوص هذه الآيات فلم أنكرتم أن يكون قوله - عز وجل - : ﴿لا تدركه الأبصار﴾ إنما أراد في الدنيا دون الآخرة، كما أن قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ أراد بعض الأبصار دون بعض، ولا يوجب

ذلك تخصيص هذه الآيات التي عارضتمونا بها فإن قالوا قوله: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يوجب أنه لا يدرك بها في الدنيا والآخرة وليس نفي ذلك أن تراه بقلوبنا ونبصره بها ولا ندركه بما قيل لهم فما أنكرتم أن يكون لا ندركه بأبصار العيون ولا يوجب إذا لم ندركه بها أن لا نره بها فرؤيتنا له بالعيون وأبصارنا له بما ليس بإدراك له بما كما أن أبصارنا بالقلوب ورؤيتنا له بما ليس بإدراك له، فإن قالوا رؤية البصر هي إدراك البصر قيل لهم ما الفرق بينكم وبين من قال أن رؤية القلب وإبصاره هو إدراكه وإحاطته فإذا كان علم القلب بالله عز وجل وإبصار القلب له رؤيته إياه ليس بإحاطة، ولا إدراك فما أنكرتم أن تكون رؤية العيون وأبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك.

(جواب) ويقال لهم: إذا كان قول الله -عز وجل-: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارُ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر فخبرونا أليس الأبصار والعيون لا تدركه رؤية ولا لمساً ولا ذوقاً ولا على وجه من الوجوه؟ فإن قالوا: نعم. فيقال لهم: أخبرونا عن قوله -عز وجل-: ﴿وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارُ﴾ أتزعمون أنه يدركها لمساً وذوقاً بأن يلمسها؟ فإن قالوا: لا. يقال لهم: فقد انتقض قولكم: أن قوله وهو يدرك الأبصار في العموم كقوله: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.

(سؤال) إن قال قائل منهم أن البصر في الحقيقة هو بصر العين لا بصر للقلب قيل له. ولم زعمت هذا وقد سمي أهل اللغة بصر القلب بصراً كما سمو العين بصراً؟ وإن جاز لك ما قلته جاز لغيركم أن يزعم أن البصر في الحقيقة هو بصر القلب دون العين وإذا لم يجز هذا فقد وجب أن البصر بصر العين وبصر القلب.

(جواب) ويقال لهم حدثونا عن قول الله -عز وجل-: ﴿وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ما معناه؟ فإن قالوا: معنى يدرك الأبصار أنه يعلمها قيل لهم. وإذا كان أحد الكلامين معطوفاً على الآخر، وكان قوله عز وجل وهو يدرك الأبصار معناه يعلمها فقد وجب أن يكون قوله لا تدركه الأبصار لا تعلمه وهذا نفي للعلم لا لرؤية الأبصار فإن قالوا معنى قوله وهو يدرك الأبصار أنه يراها رؤية ليس معناها العلم. قيل لهم فالأبصار التي في العيون يجوز أن ترى فإن قالوا: نعم. ينقضوا قولهم: أنا لا نرى بالبصر، إلا من جنس ما يرى الساعة فإن جاز أن يرى الله وكل ما ليس من جنس المرئيات، وهو الإبصار في العين فلم يجوز أن يرى نفسه، وإن لم يكن من جنس المرئيات ولم لا يجوز أن يرى نفسه وإن لم يكن من جنس المرئيات؟ ويقال لهم: حدثونا إذا رأينا شيئاً فبصرناه أو إنما يراه الرائي دون البصر، فإن قالوا إنه محال أن يرى البصر الذي في العين فيقال لهم الآية تنفي أن تراه الأبصار ولا تنفي أن يراه المبصرون وإنما قال -عز وجل-: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فهذا لا يدل على أن المبصرين لا يرونه على ظاهر الآية.

ويؤيد الإمام أبو المظفر الإسفراييني الإمام الأشعري في وجهة نظره في رؤية الله تعالى بالأبصار ويكاد يذكر باختصار أدلة الأشعري في جواز الرؤية من خلال الكتاب والسنة، فيذكر ذات الآيات الكريمة التي تؤكد جواز الرؤية فيقول الإسفراييني في «التبصير في الدين»:

«إن القدم -سبحانه- يرى وتجوز رؤيته بالأبصار، لأنه ما لا تصح رؤيته لم يتقرر وجوده كالمعدوم. وكل ما صح وجوده جازت رؤيته كسائر الموجودات. ودلائل هذه المسألة في كتاب الله كثيرة منها

قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾^(١)، واللقاء إذا أُطلق في اللغة وقع على الرؤية خصوصاً حيث لا يجوز فيه التلاقي بالذوات والتماس بينهما. ومنها قوله تعالى: ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٢). ومنها قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣) ولا زيادة على نعيم الجنة غير رؤية الرب جل جلاله. وقد ورد عن الرسول ﷺ تفسير هذه الآية بذلك ومنها قوله في قصة موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾^(٤) ولو لم تكن الرؤية جائزة لكان لا يتمناها من هو موصوف بالنبوة وأيضاً فإنه سبحانه وتعالى قال في جوابه: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ولم يقل لن أرى، وفيه دليل على أنه يصح أن يرى لأنه لو كان لا يصح رؤيته لكان يقول لن أرى، ولما خص نفي الرؤية به. ومنها قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٥) بين أن جميع الأبصار لا تدركه. مفهومه أن بعضها يدركه. ثم بين الله سبحانه من يدرك ومن لا يدرك فقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٦) وأن الوجوه الباسرة محجوبة عنه كما فرق بين الفريقين في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^(٧). فالوجوه السود محجوبة

(١) الأحزاب: ٤٤.

(٢) القيامة: ٢٢-٢٣.

(٣) يونس: ٢٦.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

(٥) الأنعام: ١٠٣.

(٦) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٧) آل عمران: ١٠٦.

عنه، والوجوه البيض الناضرة ناظره إليه، ثم أن النبي ﷺ خص لأصحابه هذه الحالة، فقال: إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، وفي الحديث قيد عليه آية الرؤية فكانه قال: لا تدركه الأبصار في غير يوم القيامة وتدركه يومئذ فإن المطلق يحمل على المقيد.

رد أهل السنة والجماعة على المعتزلة:

رد العلامة ابن القيم على المعتزلة ردًا قويًا مفصلاً، حيث قال: قرر شيخنا ابن تيمية وجه الاستدلال بالرؤية بهذه الآية: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أحسن تقرير وألطفه، وقال لي أنا أترجم أنه لا يحتاج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية، وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها. فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا بمدح به، وإنما بمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجوبياً كمدحه بنفي السنّة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كما ربوبيته وأهليته وقهره، ونفي الأكل، والشرب المتضمن كمال الصمدية والغنى، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً، فإن المعدوم

يشارك الموصوف في ذلك العدم. ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: (لا تدركه) أنه لا يرى بحال، لم يكن في ذلك مدح ولا كمال، لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار، والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به إلى أن قال -رحمه الله-: فقوله: (لا تدركه الأبصار) يدل على غاية عظيمة وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يُدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية^(١).

واستدل المعتزلة بآية الأعراف على نفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة حيث يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّي أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِن نُنظِرُكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

يقول المعتزلة: إن لن تفيده التأييد، وإن موسى عليه السلام لما أفاق قال: سبحانك أي: أنزهك عما لا يجوز عليك، وأنه قد تاب مما وقع منه وهو طلب الرؤية^(٢).

ويقول أبو القاسم البلخي المعروف بالكعبي المعتزلي: المعتزلة مجمعة على أن الله جل ذكره شيء لا كالأشياء. وإن شيئاً من الحواس لا يدركه في دنيا ولا آخرة^(٣).

(١) ابن القيم، حادي الأرواح، ص ٢٠١.

(٢) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ٢٦٤.

(٣) القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فواد السيد، الدار

التونسية، ١٣٩٣هـ، ص ٦٣.

وسبب قولهم بنفي الرؤية هو زعمهم بأن إثبات الرؤية يؤدي إلى أن يكون الله سبحانه وتعالى جسمًا محدودًا في جهة ومكان مخصوص. ويرد شارح الطحاوية على استدلال المعتزلة بآية الأعراف قائلاً: وأما دعواهم تأييد النفي بلن، وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة فكيف إذا أطلقت قال تعالى: ﴿ولن يتمنوه أبداً﴾ [البقرة: ٩٥]، مع قوله: ﴿ونادوا يا مالك ليقضي علينا ربك﴾ [الزخرف: ٧٧]. ولأنها لو كانت للتأييد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها. وقد جاء ذلك. قال تعالى: ﴿فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي﴾ [يوسف: ٨٠]، فثبت أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد^(١).

أما الإمام ابن القيم فقد رد على المعتزلة ردًا عنيفًا وقال لهم: أن (لا) تفيد طول النفي، أما (لن) فتفيد قصره، وقال: من أجل ما تقدم من قصور معنى النفي في (لن) وطوله في (لا) يُعلم قصور المعتزلة في فهم كلام الله حيث جعلوا (لن) تدل على النفي على الدوام، واحتجوا بقوله: ﴿لن تراني﴾ وعلمت بهذا أن بدعتهم الخبيثة حالت بينهم وبين فهم كلام الله كما ينبغي. وهكذا كل صاحب بدعة تجده محجوبًا عن فهم القرآن^(٢).

وأما قول موسى: ﴿ثبت إليك﴾ فالحقيقة أن هذه التوبة ما كانت عن معصية على الإطلاق، قال مجاهد في قوله: (ثبت إليك) من مسألة الرؤية في الدنيا، وقيل: قاله على جهة الإنابة والخشوع له عند ظهور الآيات، وقد أجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية^(٣).

(١) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، جـ ١، ص ٢١٤.

(٢) ابن القيم، بدائع الفوائد، جـ ١، ص ٩٦.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ ٧، ص ٢٧٩.

هكذا يثبت أهل السنة والجماعة مسألة رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى بأدلة ثقيلة وعقلية فمن الأدلة الثقيلة قول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. وقد فسر كثير من العلماء الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى، وقال بذلك كثير من الصحابة والتابعين. فقد قال أبو بكر الصديق وحذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- في تفسير الآية، (الحسنى الجنة، وأن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى) (١).

وقال الحسن البصري في قول الله تعالى: ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ إلى ربهما ناظرة ﴿[القيامة: ٢٣، ٢٢]. قال الناظرة: الحسنة، حسنها الله بالنظر إلى ربهما عز وجل، وحق لها أن تنظر وهي تنظر إلى ربهما جل جلاله (٢).

ومن الأدلة الثقيلة أحاديث رسول الله ﷺ التي تؤكد إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم تروونه كذلك».

وحديث جرير بن عبد الله البجلي -رضي الله عنه- قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ، فنظرَ إلى القمر ليلة أربع عشرة. فقال: «إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن

(١) عبد الله بن أحمد بن حنبل، السنة، تحقيق محمد سعيد القحطاني، رمادي للنشر،

الدمام المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ، برقم ٤٧١.

(٢) المرجع السابق، برقم ٤٧٩.

استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
فافعلوا» [رواه البخاري].

وحديث صهيب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:
«إذا دخل أهل الجنة، يقول الله عز وجل: تريدون شيئاً أزيدكم،
فيقولون: ألم تبيض وجوهنا. ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار. قال:
فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز
وجل» [مسلم].

ولقد أجمع علماء أهل السنة والجماعة وفقهائهم على أن الله تعالى
سيراه أهل الإيمان يوم القيامة، وقال بذلك الإمام مالك وأبي حنيفة
النعمان، والشافعي، والإمام أحمد.

وقد قال الإمام الآجري في كتابه "الشرعية": وأما أهل السعادة
منهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، فأمنوا بالله وحده، ولم يشركوا
به شيئاً، وصدقوا القول بالفعل، فأما هم على ذلك فهم في قبورهم
يُنعمون، وعند المحشر يبشرون وفي الموقف إلى الله عز وجل بأعينهم
ينظرون، وإلى الجنة بعد ذلك وافدون، وفي نعيمها يتفكهون، وللحور
العين معانقون، والولدان لهم يخدمون، وفي جوار مولاهم الكريم أبداً
حامدون، ولربهم عز وجل في داره زائرون وبالنظر إلى وجهه الكريم
يتلذذون، وله مكلمون، وبالتحية لهم من الله عز وجل والسلام منه
عليهم يكرمون، ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم^(١).

(١) الآجري، الشرعية، ص ٢٥١.

أمّا عن الأدلة العقلية على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة فقد ذكر الإمام أبي الحسن الأشعري في كتابه الإبانة دليل الوجود، فإن وجود الله عز وجل دليل على جواز رؤيته لأن الذي لا يجوز أن يُرى هو المعدوم، فلما كان الله عز وجل موجودًا مثبتًا كان غير مستحيل أن يرى نفسه عز وجل.